

## 1- تعريف الاتصال:

يعود أصل كلمة COMMUNICATION في اللغات الأوروبية إلى جذور الكلمة اللاتينية COMMUNIS التي تعني "الشيء المشترك"، ومن هذه الكلمة اشتقت كلمة COMMUNE التي كانت تعني في القرنين العاشر والحادي عشر "الجماعة المدنية" بعد انتزاع الحق في الإدارة الذاتية للجماعات في كل من فرنسا وإيطاليا، قبل أن تكتسب الكلمة المغزى السياسي والأيدولوجي فيما عرف بـ "كومونة باريس" في القرن الثامن عشر؛ أما الفعل اللاتيني لجذر الكلمة COMMUNICARE فمعناه "يذيع أو يشيع" ومن هذا الفعل اشتق من اللاتينية والفرنسية نعت COMMUNIQUE الذي يعني "بلاغ رسمي" أو بيان أو توضيح حكومي<sup>(1)</sup>.

ويمكن وصف الاتصال بأنه سر استمرار الحياة على الأرض وتطورها، بل أن بعض الباحثين يرى (أن الاتصال هو الحياة نفسها)، وعلى الرغم من أن الجنس البشري لا ينفرد وحده بهذه الظاهرة، حيث توجد أنواع عديدة من الاتصال بين الكائنات الحية، بيد أن الاتصال بين البشر شهد تنوعاً في أساليبه، وتطوراً مذهباً في المراحل التاريخية المتأخرة.

ومع تعدد التعريفات التي وضعت من قبل الباحثين لمفهوم الاتصال (Communication) فأننا يمكن أن نعتمد تعريفاً مبسطاً وشاملاً للاتصال هو: (أن الاتصال عملية يتم بمقتضاها تفاعل بين مرسل ومستقبل ورسالة في مضامين اجتماعية معينة، وفي هذا التفاعل يتم نقل أفكار ومعلومات ومنبهات بين الأفراد عن قضية، أو معنى مجرد أو واقع معين)<sup>(2)</sup>.

## 2- المداخل النظرية لمفهوم الاتصال:

(1) -عزي عبد الرحمان وآخرون، عالم الاتصال، سلسلة دراسات اعلامية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص10.  
(2) -المرجع نفسه، ص 12.

## 1-2- المدخل الأول:

ينظر إلى الاتصال على أنه عملية يقوم فيها طرف أول (مرسل) بإرسال رسالة إلى طرف مقابل (مستقبل) بما يؤدي إلى أحداث اثر معين على متلقي الرسالة.<sup>(1)</sup>

## 2-2- المدخل الثاني:

يرى أن الاتصال يقوم على تبادل المعاني الموجودة في الرسائل، والتي من خلالها يتفاعل الأفراد من ذوي الثقافات المختلفة، وذلك من أجل إتاحة الفرصة لتوصيل المعنى وفهم الرسالة.<sup>(2)</sup>

## 3-2- نماذج هذه التعريفات:

1. الاتصال هو العملية التي يتم من خلالها نقل رسالة معينة أو مجموعة من الرسائل من مرسل أو مصدر معين إلى مستقبل، أما الاتصال الجماهيري فهو ذلك النمط من الاتصال الذي يتم بين أكثر من شخصين لإتمام العملية الاتصالية، والتي غالبا ما تقوم بها المؤسسات أو الهيئات عن طريق رسائل جماهيرية.

2. الاتصال هو نقل أو انتقال للمعلومات والأفكار والاتجاهات أو العواطف من شخص أو جماعة لآخر أو لآخرين من خلال رموز معينة.

3. الاتصال يعرف على أنه عملية تحدد الوسائل والهدف الذي يتصل أو يرتبط بالآخرين، ويكون من الضروري اعتباره تطبيقا لثلاثة عناصر: العملية-الوسيلة-الهدف.

4. الاتصال عملية تفاعل بين طرفين من خلال رسالة معينة، فكرة، أو خبرة أو أي مضمون اتصالي آخر عبر قنوات اتصالية ينبغي أن تتناسب مع مضمون الرسالة بصورة توضح تفاعلا مشتركا فيما بينهما.

وفي ضوء المدخل الثاني الذي ينظر إلى الاتصال على أنه عملية تبادل معاني يعرف بعض الباحثين الاتصال كعملية تتم من خلال الاتكاء على وسيط لغوي، حيث أن

(1) -دليو فضيل، تاريخ وسائل الاتصال، دار اقطاب الفكر، ط3، الجزائر، 2006، ص 21.

(2) -المرجع نفسه، ص 25.

كلاً من المرسل والمستقبل يشتركان في إطار دلالي واحد، بحيث ينظر إلى الاتصال هنا على أنه عملية تفاعل رمزي<sup>(1)</sup>.

## ومن نماذج هذه التعريفات:

1. الاتصال تفاعل بالرموز اللفظية بين طرفين: أحدهما مرسل يبدأ الحوار وما لم يكمل المستقبل الحوار، لا يتحقق الاتصال، ويقتصر الأمر على توجيه الآراء أو المعلومات، من جانب واحد فقط، دون معرفة نوع الاستجابة أو التأثير الذي حدث عند المستقبل.

2. الاتصال عملية يتم من خلالها تحقيق معاني مشتركة (متطابقة) بين الشخص الذي يقوم بالمبادرة بإصدار الرسالة من جانب، والشخص الذي يستقبلها من جانب آخر.

## 3- عناصر عملية الاتصال:

أن النظر إلى الاتصال كعملية مشاركة، يعني أن الاتصال لا ينتهي بمجرد أن تصل الرسالة من المصدر (المرسل) إلى المتلقي (المستقبل)، كما يعني أن هناك العديد من العوامل الوسيطة بين الرسالة والمتلقي، بما يحدد تأثير الاتصال؛ من جهة أخرى فإن كلا من المرسل والمتلقي يتحدث عن موضوع معين أو موضوعات معينة فيما يعرف بالرسالة أو الرسائل، ويعكس هذا الحديث ليس فقط مدى معرفة كل منها بالموضوع أو الرسالة، ولكن أيضاً يتأثر بما لديه من قيم ومعتقدات، وكذلك بانتماءاته الاجتماعية الثقافية، مما يثير لديه ردود فعل معينة تجاه ما يتلقاه من معلومات وآراء ويحدد أيضاً مدى تأثيره بهذه المعلومات والآراء<sup>(2)</sup>.

لقد ظهرت العديد من النماذج والتي تطورت من الطبيعة الثنائية إلى الطبيعة الدائرية والتي على ضوئها تتكون عملية الاتصال من ستة عناصر أساسية هي:

1- المصدر.

2- الرسالة.

(1) - دليو فضيل، مرجع سابق، ص 32.

(2) - محمود صبري النمر، اساليب الاتصال الاجتماعي، المكتب الجامعي العلمي للكمبيوتر، الاسكندرية، 1996، ص 41.

3- الوسيلة.

4- المتلقي (المستقبل).

5- رجع الصدى أو رد الفعل.

6- التأثير.

وفيما يلي نبذة موجزة عن هذه العناصر:

### 1-3- المصدر أو المرسل (SOURCE):

ويقصد به منشئ الرسالة، وقد يكون المصدر فردا أو مجموعة من الأفراد وقد يكون مؤسسة أو شركة، وكثيرا ما يستخدم المصدر بمعنى القائم بالاتصال.

### 2-3- الرسالة (MESSAGE):

وهي المعنى أو الفكرة أو المحتوى الذي ينقله المصدر إلى المستقبل، وتتضمن المعاني والأفكار والآراء التي تتعلق بموضوعات معينة، يتم التعبير عنها رمزيا سواء باللغة المنطوقة أو غير المنطوقة، وتتوقف فاعلية الاتصال على الفهم المشترك للموضوع واللغة التي يقدم بها<sup>(1)</sup>.

### 3-3- الوسيلة أو القناة (CHANNEL):<sup>(1)</sup>

وتعرف بأنها الأداة التي من خلالها أو بواسطتها يتم نقل الرسالة من المرسل إلى المستقبل، وتختلف الوسيلة باختلاف مستوى الاتصال، فهي في الاتصال الجماهيري تكون الصحيفة أو المجلة أو الإذاعة أو التلفزيون، وفي الاتصال الجمعي مثل المحاضرة أو خطبة الجمعة أو المؤتمرات، وفي بعض مواقف الاتصال الجمعي أيضا قد تكون

(1) - عبد الرحمان محمد الأغليني، تدفق المضمون الدرامي العربي والأجنبي في التلفزيون، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الاعلام، جامعة القاهرة، 1991، ص 78.

(1) - عبد الرحمان محمد الأغليني، مرجع سابق، ص 78.

الأداة مطبوعات أو شرائح أو أفلام فيديو، أما في الاتصال المباشر فإن الوسيلة لا تكون ميكانيكية (صناعية) وإنما تكون طبيعية، أي وجها لوجه.

### 3-4- المتلقي أو المستقبل (RECEIVER): (2)

وهو الجمهور الذي يتلقى الرسالة الاتصالية أو الإعلامية ويتفاعل معها ويتأثر بها، وهو الهدف المقصود في عملية الاتصال، ولا شك أن فهم الجمهور وخصائصه وظروفه يلعب دورا مهما في إدراك معنى الرسالة ودرجة تأثيرها في عقلية ذلك الجمهور، ولا يمكن أن نتوقع أن الجمهور يصدق وينصاع تلقائيا للرسالة الإعلامية فهو قد يرفضها أو يستجيب لها، إذا كانت تتفق مع ميوله واتجاهاته ورغباته، وقد يتخذ بعض الجمهور موقف اللامبالاة من الرسالة ولا يتفاعل معها.

### 3-5- رجوع الصدى أو رد الفعل (FEED BACK): (3)

يتخذ رد الفعل اتجاها عكسيا في عملية الاتصال، وهو ينطلق من المستقبل إلى المرسل، وذلك للتعبير عن موقف المتلقي من الرسالة ومدى فهمه لها واستجابته أو رفضه لمعناها، وقد أصبح رد الفعل مهما في تقويم عملية الاتصال.

### 3-6- التأثير (EFFECTIVE): (1)

التأثير مسألة نسبية ومتفاوتة بين شخص وآخر وجماعة وأخرى، وذلك بعد تلقي الرسالة الاتصالية وفهمها، وغالبا ما يكون تأثير وسائل الاتصال الجماهيرية بطيئا وليس فوريا، كما يعتقد البعض، وقد يكون تأثير بعض الرسائل مؤقتا وليس دائما، ومن ثم فإن التأثير هو الهدف النهائي الذي يسعى إليه المرسل وهو النتيجة التي يتوخى تحقيقها القائم بالاتصال.

(2) – نصير بوعلي، البرابول والجمهور في الجزائر، دراسة في عادات المشاهدة وأنماطها والتأثيرات على قيم المجتمع وثقافته، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة الجزائر، 1994، ص 59.

(3) – المرجع نفسه، ص 60.

(1) – خليل صابات، وسائل الاعلام (نشأتها وتطورها)، المكتبة الأنجلومصرية، مصر، 1987، ص 60.

وتتم عملية التأثير على خطوتين، الأولى هي تغيير التفكير، والخطوة الثانية هي تغيير السلوك.

## 4- نظريات الاتصال:

### 1-4- نظرية التأثير المباشر:

هارولد لازويل قال بنظرية الرصاصة السحرية أو الحقنة تحت الجلد، وتفترض أن الأشخاص ليسوا إلا مجتمع جماهيري من مجموعة من الأشخاص المنعزلين (تأثرت بفكر فرويد)، ووسائل الإعلام تمثل فيه مصادر قوية للتأثير على الناس والناس يقبلونها ويفهمونها بشكل متماثلو كل شخص يتلقى المعلومات بشكل فردي، ويستجيب بشكل فردي، ولم تكن نظرية واقعية بسبب التبسيط الشديد، وافترض أن للإعلام تأثيرات عنيفة ومفاجئة، أهميتها أنها كانت بداية بحوث تأثير الإعلام.<sup>(2)</sup>

### 2-4- نظريات التأثير الانتقائي:

#### 1-2-4- نظرية الاختلافات الفردية:

تقول ببساطة أن الأشخاص المختلفون يستجيبون بشكل مختلف للرسائل الإعلامية وفقا لاتجاهاتهم، وبنيتهم النفسية، وصفاتهم الموروثة أو المكتسبة، ووسائل الإعلام تستقبل وتفسر بشكل انتقائي، وذلك بسبب اختلاف الإدراك الذي يفكر به كل شخص، والذي يرجع إلى اختلاف التنظيم الذي لدى كل شخص من المعتقدات والقيم والاتجاهات... ولأن الإدراك انتقائي فالتذكر والاستجابة انتقائيان، وبالتالي فتأثير وسائل الإعلام ليس متماثل.<sup>(1)</sup>

#### 2-2-4- نظرية الفئات الاجتماعية:

الناس ينقسمون إلى فئات اجتماعية والسلوك الاتصالي يتشابه داخل كل فئة وموقع الفرد في البناء الاجتماعي يؤثر على استقباله، والفئة قد تتحدد بناء على: السن

(2) - الجردى نبيل عارف، مقدمة في علم الاتصال، مكتبة الامارات، ط 1، 1985، ص 82.

(1) - الجردى نبيل عارف، مرجع سابق، ص 83.

الجنس، الدخل، التعليم، الوظيفة...، وأنماط الاستجابة تتشابه في داخل كل فئة، لذا فتأثير وسائل الإعلام ليس قويا، ولا متماثلا ولكنه يختلف بتأثير الفئات الاجتماعية.<sup>(2)</sup>

#### 3-2-4 - نظريات العلاقات الاجتماعية:

جمهور وسائل الإعلام ليسوا مجرد أفراد منعزلين، أو أفراد مجتمعين في فئات اجتماعية، ولكنهم مرتبطون ببعضهم البعض في اتحادات ونوادي والذين يزيد تعرضهم لوسائل الإعلام يمكن أن يؤثر في الأقل تعرضا له، والعلاقات يجب أن توضع في الاعتبار.<sup>(3)</sup>

#### 3-4-3- نظريات التأثير غير المباشر:

##### 1-3-4- نظرية التأثير المعتمد على تقديم النموذج:

تقول أن تعرض الفرد لنماذج السلوك التي تعرضها وسائل الإعلام تقدم للفرد مصدر من مصادر التعلم الاجتماعي، مما يدفعه لتبني هذه النماذج في سلوكه اليومي (الحلم الأمريكي من خلال السينما- فتيات الإعلانات)<sup>(4)</sup>.

#### 2-3-4- نظرية المعنى:

يمكن لوسائل الإعلام أن تقدم معان جديدة لكلمات اللغة، وتضيف عناصر جديدة للمعاني القديمة، وبما أن اللغة عامل حاسم في الإدراك والتفسير والقرارات فإن وسائل الإعلام يصبح لها دور حاسم في تشكيل السلوك بشكل غير مباشر، (الثورة، النكسة الفتح العربي).<sup>(1)</sup>

#### 3-3-4- نموذج الحاجات والإشباع:

(2) - المرجع نفسه ، ص 83.

(3) - المرجع نفسه، ص 84

(4) - المرجع نفسه، ص 84.

(1) - خليل صابات، مرجع سابق، ص 85.

وتقول تلك النظرية أن جزءا هاما من استخدام الناس لوسائل الإعلام موجه لتحقيق أهداف يحددها الأفراد، وهم يقومون باختيار وسائل إعلامية معينة لإشباع احتياجاتهم مثلما قال مارك ليفي هناك خمسة أهداف من استخدام الناس لوسائل الإعلام (مراقبة البيئة- التوجه المعرفي- عدم الرضا- التوجه العاطفي- التسلية).<sup>(2)</sup>

#### 4-4- نظريات الاتصال الإقناعي:

##### 1-4-4- النموذج النفسي:

يعتمد على نظرية الاختلافات الفردية، فالرسالة الفعالة هي التي تتمكن من تحويل البناء النفسي للفرد بشكل يجعل الاستجابة المعلنة متفقة مع موضوع الرسالة والنموذج هو: الرسالة الإقناعية التي تغير أو تنشط العمليات النفسية الكامنة أو تحقق السلوك الظاهر المرتبط بالعمليات النفسية.<sup>(3)</sup>

##### 1-1-4-4- خطواتها:

- 1- وصول الرسالة للشخص.
- 2- قبوله لها ليفكر فيها.
- 3- تقييمه للأهداف التي سيحققها من تنفيذه للسلوك.
- 4- اختيار القيام بالسلوك.

##### 2-4-4- النموذج الثقافي الاجتماعي:

يعتمد على نظرية الفئات الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية، ومن الصعب تفسير سلوك الأفراد بناء على المتغيرات النفسية وحدها لأنهم دوما يتصرفون داخل سياق اجتماعي والنموذج هو: الرسالة الإقناعية التي تحدد أو تعيد تحديد العملية الثقافية وتشكل أو تغير معايير السلوك المتفق عليها داخل الجماعة وتحقق تغير في اتجاه السلوك المعلن.

(2) - المرجع نفسه، ص 86.

(3) - المرجع نفسه ، ص 88.

مع التذكير انه لا بد من مراعاة أن: هناك مجتمعات ذات نظم ثقافية قاسية توجه الفرد وتقدم له بناء كامل للحقيقة، وهناك مجتمعات أخرى على النقيض، تتاح فيها الفرصة أمام الأفراد لتحديد استجاباتهم الخاصة نحو الأفكار الجديدة<sup>(1)</sup>.

#### 5-4- نظرية التقمص الوجداني:

المقدرة على التقمص الوجداني جزء لا يتجزأ من الاتصال، لأنه يربط بين ذهن المرسل وذهن المتلقي، والتقمص الوجداني هو المقدرة عن فهم الحالة الذهنية لشخص آخر، كأن تقول لشخص آخر (أني أفهم مشاعرك).<sup>(2)</sup>

يكتسب الفرد المقدرة على التقمص الوجداني بالتحرك المادي من مكان إلى آخر أو عن طريق التعرض لوسائل الاتصال، التي تجعل التحرك السيكولوجي يحل محل التحرك المادي أو الجغرافي، وقيمة التقمص الوجداني للاتصال يمكن تلخيصها في أنه لكي نتصل يجب أن يتوافر لنا على الأقل ثلاثة عناصر:

1- وسائل مادية للاتصال.

2- رجع صدق.

3- مقدرة على التقمص الوجداني.

والمقدرة على التقمص الوجداني، أي عمل استنتاجات عن الآخرين، وتغيير تلك الاستنتاجات لتتفق مع الظروف الجديدة، هذه المقدرة معروفة منذ ألفي عام، فقد أشار إليها أفلاطون وسان جون وسان أوجستين وبعد ذلك سبينوزا في مؤلفاتهم، وقد اعتبرها آدم سميث وهربرت سبنسر عملية انعكاس بدائي.<sup>(1)</sup>

#### 5-4-1- نظرية الاستنتاج في التقمص الوجداني:

تقول نظرية الاستنتاج في مجال التقمص الوجداني أن الإنسان يلاحظ سلوكه المادي مباشرة، ويربط سلوكه رمزيا بحالته السيكولوجية الداخلية، أي بمشاعره

(1) - احدان زهير، مرجع سابق، ص 115.

(2) - محمود علم الدين، تكنولوجيا المعلومات و صناعة الاتصال الجماهيري، العربي للنشر و التوزيع، القاهرة، 1990، ص 96.

(1) - محمود علم الدين، مرجع سابق، ص 98.

وعواطفه.. الخ، ومن خلال هذه العملية يصبح لسلوكه الإنساني معنى، أي يصبح (لتفسيراته معنى)، ويطور الفرد مفهومه عن ذاته بنفسه على أساس ملاحظاته وتفسيراته لسلوكه الخاص<sup>(2)</sup>.

وبمفهوم الذات، يتصل بالآخرين ويلاحظ سلوكهم المادي، وعلى أساس تفسيراته السابقة لسلوكه وما ارتبط من مختلف المشاعر والعواطف يخرج باستنتاجات عن حالة الآخرين السيكولوجية، بمعنى آخر، يقول لنفسه أنه إذا كان سلوكه يعكس كذا وكذا من المشاعر، إذا قام شخص آخر بهذا السلوك فهو أيضا يعكس نفس المشاعر التي شعر بها حينما قام بهذا العمل.

#### 4-5-2- نظرية أخذ الأدوار في التقمص الوجداني:

إذا افترضنا أن معلومات الإنسان من الدرجة الأولى هي عن نفسه، أو أن الإنسان يكون مفهوماً معيناً عن ذاته قبل أن يتصل بالآخرين، حينما نتقمص وجدانياً بعمل استنتاجات ثم لا نجازى عليها نضطر إلى نلجأ إلى حل واحد من حلين اما:

1. أن نحرف سلوك الآخرين الذي ندركه ونجعله يتفق مع توقعاتنا.
2. أو أن نعيد النظر في صورتنا الذهنية عن أنفسنا، ونعيد تعريف ذاتنا، ونعود مرة أخرى إلى أخذ الأدوار<sup>(1)</sup>.

#### 5- تطور نظريات الاتصال:

بذلت عدة محاولات علمية لتحليل عملية الاتصال ووصف أبعادها وعناصرها وما يهمنها التأكيد عليه، في حدود هذه الدراسة، أن أغلب - إن لم نقل جميع- الدراسات التي تناولت موضوع الاتصال الجماهيري أكدت على أهمية الوسيلة الاتصالية ودورها المؤثر والرئيسي في عملية الاتصال الجماهيرية.

وفي هذا الصدد يمكن أن نشير إلى نموذج (ديفيد برلو) الذي يرى أن هناك أربعة عناصر تكون العملية الاتصالية وتشمل: المرسل والرسالة والوسيلة والمستقبل.

(2) - علي أحمد علي، سلوك الإنسان، مكتبة عين شمس، القاهرة، 1971، ص 102.

(1) - علي أحمد علي، مرجع سابق، ص 121.

ومن النماذج المهمة التي أسهمت في بناء نظريات الاتصال النموذج الذي قدمه (ولبر شرام) في عام 1974 وطوره في عام 1971 وفي هذا النموذج يقدم شرام العناصر الأساسية على النحو التالي<sup>(2)</sup>:

(أ) المصدر أو صاحب الفكرة.

(ب) التعبير عن الفكرة ووضعها في شيفرة وصياغتها في رموز لتكوين الرسالة.  
(ت) المستقبل الذي يتلقى ويفك رموزها.

(ث) الاستجابة أو الهدف ورجع الصدى الذي قد يصل أو لا يصل إلى المرسل أو صاحب الفكرة.<sup>(3)</sup>

ويعتمد شرام في هذا النموذج على أفكار الباحثين شانون وويفر، وبخاصة فيما يتعلق برجع الصدى والتشويش، ويضيف من خلال نمودجه النظام الوظيفي لعملية الاتصال، كما قدم من خلال هذا النموذج مفاهيم مهمة مثل الإطار الدلالي والخبرة المشتركة وأهميتها في عملية الاتصال وإلى ذلك، اذ يقول: "إن تطور التاريخ الإنساني هو ظاهرة اجتماعية واحدة تدفع بالإنسان إلى الاتصال بأخيه الإنسان، في مكان آخر أو مجتمع آخر"<sup>(1)</sup>.

وهو بذلك ينظر إلى قصة التطور التاريخي البشري على أنها قصة تطور عملية الاتصال، ويقسمها إلى خمس مراحل وهي: الكلام، الكتابة، اختراع الطباعة، المرحلة العالمية، وأخيراً مرحلة الإذاعة والاتصال الإلكتروني، وفي هذه المرحلة الأخيرة لتطور الاتصال أصبح للوسائل الإلكترونية دوراً مهماً في حياة المجتمع، واستطاع الإنسان نقل أفكاره ومشاعره ومعلوماته عبر الحواجز الجغرافية المحدودة باستخدام أجهزة المذياع ثم التلفزيون، وأخيراً شبكة الإنترنت والهاتف الجوال.

(2) - دجاني نبيل، المجلة الجزائرية للاتصال، معهد علوم الاعلام والاتصال، جامعة الجزائر، العدد 15، جوان 1997، ص 37.

(3) - صلاح جوهر، علم الاتصال: مفاهيم، نظريات، مجالات...، مكتبة عين شمس، القاهرة، ص 115.

(1) - صلاح جوهر، مرجع سابق، ص 116.

ولعل نظرية مارشال ماكلوهان التي ظهرت قبل نحو أربعين عاماً، ما تزال حتى اليوم أكثر النظريات الإعلامية انتشاراً ووضوحاً في الربط بين الرسالة والوسيلة الإعلامية، والتأكيد على أهمية الوسيلة في تحديد نوعية الاتصال وتأثيره، حيث يرى ماكلوهان (أن الوسيلة هي الرسالة) ويوضح أن مضمون وسائل الاتصال لا يمكن النظر إليه مستقلاً عن تقنيات الوسائل الاتصالية فالموضوعات والجمهور التي توجه له مضمونها، يؤثران على ما تقوله تلك الوسائل، ولكن طبيعة وسائل الإعلام التي يتصل بها الإنسان تشكل المجتمعات أكثر ما يشكلها مضمون الاتصال. (2).

ويبين ماكلوهان أن وسائل الإعلام التي يستخدمها المجتمع أو يضطر إلى استخدامها ستحدد طبيعة المجتمع وكيف يعالج مشاكله، وأي وسيلة، أو امتداد للإنسان تشكل ظروفه وتؤثر على الطريقة التي يفكر بها الناس ويعملون وفقاً لها (3).

وعرض ماكلوهان أربع مراحل تعكس - في رأيه - التاريخ الإنساني وهي:

أ) المرحلة الشفوية: أي مرحلة ما قبل التعلم، أي المرحلة القبلية.

ب) مرحلة كتابة النسخ: التي ظهرت في اليونان القديمة واستمرت ألفي عام.

ت) عصر الطباعة: من سنة 1500 ف إلى سنة 1900 ف تقريباً.

ث) عصر وسائل الإعلام الإلكترونية من سنة 1900 م تقريباً حتى الوقت الحاضر. (1)

إن طبيعة وسائل الإعلام المستخدمة في كل مرحلة تساعد على تشكيل المجتمع أكثر مما يساعد مضمون تلك الوسائل على هذا التشكيل.

ومن أهم ما جاء في نظرية ماكلوهان عن وسائل الاتصال، أنه يقسم هذه الوسائل إلى (وسائل باردة) و(وسائل ساخنة) ويقصد بالوسائل الباردة تلك التي تتطلب من المستقبل جهداً إيجابياً في المشاركة والمعاشية والاندماج فيها، أما الوسائل الساخنة، فهي تلك الوسائل الجاهزة المحددة نهائياً، فلا تحتاج من المشاهد أو المستمع إلى جهد يبذل أو

(2) - عبد النبي عبد الفتاح، تكنولوجيا الاتصال و الثقافة بين النظرية و التطبيق، العربي للنشر، القاهرة، 1990، ص 163.

(3) - علي احمد علي، مرجع سابق، ص 162.

(1) - الجردي نبيل عارف، مرجع سابق، ص 194.

مشاركة أو معايشة، فالكتابة والتلفون والتلفزيون وسائل باردة، أما الطباعة والإذاعة والسينما فهي وسائل ساخنة.

وإذا لم تكن (الوسيلة هي الرسالة) فمن الواضح أنها أخطر من مجرد أداة لزيادة عدد الجماهير من القراء والمستمعين والمشاهدين<sup>(2)</sup>.

وفي الوقت الذي يشير فيه ماكلوهان إلى أن وسائل الإعلام الإلكترونية ساعدت في انكماش الكرة الأرضية وتقلصها في الزمان والمكان، حتى أصبحت توصف بـ (القرية العالمية Global Village) وبالتالي زاد وعي الإنسان بمسؤوليته إلى درجة قصوى.

أن هذه الحالة الجديدة أدت إلى ما يمكن تسميته بـ: (عصر القلق) لأن الثورة الإلكترونية الفورية الجديدة تجبر الفرد على الالتزام والمشاركة بعمق.

وبغض النظر عن وجهة النظر التي يتبناها، فوجهة النظر الخاصة الجزئية مهما كان مقصدها لن تغير في عصر الكهرباء والإلكترون الآلي الفوري، وربما يكون هذا الرأي وغيره يمثل الأرضية التي نبع منها مفهوم (العولمة) الذي أصبح يتردد في السنوات الأخيرة<sup>(1)</sup>.

وإلى جانب ذلك فإن أفكار ماكلوهان أصبحت في السنوات الأخيرة، موضع انتقاد أو تعديل أو تشكيك من قبل بعض الباحثين، وفي هذا الصدد يرى (ريتشارد بلاك) أن (القرية العالمية) التي زعم ماكلوهان وجودها، لم يعد لها وجود حقيقي في المجتمع المعاصر.<sup>(2)</sup>

ويوضح "أن التطور التقني الذي استند إليه ماكلوهان عند وصفه للقرية العالمية استمر في مزيد من التطور بحيث أدى إلى تحطيم هذه القرية العالمية وتحويلها إلى شظايا، فالعلم الآن أقرب ما يكون إلى البناية الضخمة التي تضم عشرات الشقق السكنية

(2) - الهاشمي محمد هاشم، الاعلام الكوني و تكنولوجيا المستقبل، المستقبل للنشر و التوزيع، عمان، الاردن، 2001، ص 146.

(1) - فريال مهنا، علوم الاتصال والمجتمعات الرقمية، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، ص 485.

(2) - المرجع نفسه، ص 487.

التي يقيم فيها أناس كثيرون ولكن كل منهم يعيش في عزلة، ولا يدري شيئاً عن جيرانه الذين يقيمون معه في البناية نفسها " (3).

ويمكن أن يوصف هذا التطور بأنه تحول من (التجميع) إلى (التفتيت) أو اللامركزية، حيث أتاحت تقنيات الاتصال الحديثة المتمثلة في الأقمار الاصطناعية والحاسبات الإلكترونية ووصلات (المايكروويف) والألياف الضوئية عددا كبيرا من خدمات الاتصال خلال الاتصال العقدين الماضيين، مثل التلفزيون الكابلي التفاعلي والتلفزيون منخفض القوة و(الفيديو كاسيت) (الفيديويسك) وأجهزة التسجيل الموسيقي المتطورة، وخدمات (الفيديو تكسوالتيكس) والاتصال المباشر بقواعد البيانات والهواتف النقالة والبريد الإلكتروني، التي اندمجت في شبكة الاتصالات المعروفة بـ(الإنترنت)، وجمعها وسائل تخاطب الأفراد وتلبي حاجاتهم ورغباتهم الذاتية(4).

وقد نتج عن هذه التقنية الجديدة تقلص أعداد الجماهير التي تشاهد برامج الشبكات الرئيسية وخدمات الإذاعة المسموعة والتلفزيون التي تعمل بنظام البث الهوائي التقليدي.

لقد ظل الاتجاه الرئيسي لوسائل الاتصال الجماهيرية، حتى ما قبل عشرين عاما، يميل إلى توحيد الجماهير Massification بمعنى نقل الرسائل الاتصالية نفسها إلى قطاعات جماهيرية واسعة، أو توحيد الرسائل وتعدد الجماهير المستقبلية لهذه الرسائل(1). أما الاتجاه الجديد للاتصال وتدفق المعلومات على الصعيد العالمي، فقد بدأ يتجه نحو لا مركزية الاتصال، بمعنى تقديم رسائل متعددة تلاؤم الأفراد أو الجماعات الصغيرة المتخصصة، وتتخذ هذه اللامركزية للرسائل مظهرين(2):

**المظهر الأول: يتحكم فيه المرسل.**

**والمظهر الثاني: يتحكم فيه المستقبل.**

(3) - المرجع نفسه، ص 489.

(4) - برنيت دوين، الاتصال و سلوك الانسان، ترجمة محمد اسماعيل الخطيب، الدار العامة للبحوث، السعودية، 1991، ص 256.

(1) - الهاشمي محمد هاشم، مرجع سابق، ص 156.

(2) - عزى عبد الرحمان وآخرون، مرجع سابق، ص 96.

ويمكن إتاحة كل منهما عن طريق الربط بالحاسبات الإلكترونية لتوفر خدمات مختلفة من الاتصال وتبادل المعلومات، تبدأ من الصحافة المطبوعة أو نقل النصوص المكتوبة، وتمتد إلى شكل البرامج التلفزيونية والأفلام السينمائية، ويمكن نقل هذه المعلومات عبر مسافات شاسعة وبسرعة فائقة، عن طريق استخدام الاتصال الكابلي والأقمار الاصطناعية.<sup>(3)</sup>

ويرى الباحث الفن توفلر: أن البنية الأساسية الإلكترونية في أقطار الاقتصاد المتقدم سوف تتميز بستة سمات تمثل مفاتيح المستقبل هي<sup>(4)</sup>:

أ) التفاعلية Interactivité.

ب) قابلية التحرك أو الحركة Mobilité.

ت) قابلية التحويل Convertibilité.

ث) التوصيلية Connectivité.

ج) الشبوع والانتشار Ubiquité.

ح) التدويل Globalisation.

<sup>(3)</sup> - فريال مهنا، علوم الاتصال والمجتمعات الرقمية، مرجع سابق، ص 562.

<sup>(4)</sup> - المرجع نفسه، ص 596.